**تلخيص الأخلاق : الخير و السعادة**

**الأخلاق :** جملة الضوابط و القواعد و المعايير التي تحدّد سلوك الإنسان و توجهه نحو الخير باعتباره ما هو منشود ، و المقصود بالأخلاق معرفة الفضائل و كيفية اكتسابها لتسمو بها النفس ، و معرفة الرذائل لتتنزّه عنها .

**الإيتيقا Ethique** : كلمة فرنسية من أصل يوناني، و تعني البحث عن نسق مبادئ تهدف إلى وجودٍ خيّر وسعيد، في حين أن كلمة أخلاق Morale الفرنسية من أصل لاتيني، و تتحدد كنظرية في الجبر، نظرية في القانون والواجب الأخلاقي باعتباره لا مشروط و كوني. و يجب أن نلاحظ أن الإيتيقا تشهد اليوم أكثر حظوة في مقابل احتشام الاهتمام بالأخلاق. و الإيتيقا اليوم تفيد عموما النظرية العقلانية حول الفعل والحياة الخيرة وبالتالي تتمثل في دراسة مشاكل القيم التي تطرحها مسائل المحيط (إيتيقا المحيط) و الممارسات الطبية (البيو- ايتيقا)...

**الخير :** لغة هو حصول الشيء على كمالاته ، أما فلسفيا هو تصوّر معياري للفعل الإيجابي و التأسيس للأفضل ، فالخير كل ما يكون موضوع إرضاء أو استحسان في أيّ مستوى من مستويات الغايات مكتمل في نوعه ، ناجح و ناجع ، مفيد لأيّ غاية، و الخير هو ما يتعيّن و ما يجب فعله وهو نقيض الشرّ .

**السعادة :** لغة هي نقيض الحزن و الشقاء و النحس ، كما تفيد معنى البهجة و الفرح و الحظ . أما فلسفيا فهي حالة من الغبطة و الرضاء و الطمأنينة التي تعيشها النفس، فالسعادة هي شعور بالرضا التام و غياب ما يعكّر صفو النفس و اعتدالها .

الفرق بين السعادة و اللذة ، أن السعادة حالة خاصة بالإنسان و أن رضاء النفس بها تام، في حين أن اللذة حالة مشتركة بين الإنسان و الحيوان و أن رضاء النفس بها مؤقت .

1. **في التلازم بين الخير و السعادة**
2. **في اعتبار التأمل هو السعادة :**

تهتم الفلسفة الأخلاقية بتحديد السعادة حقا. لذا ينطلق أرسطو من الشوق أو الرغبة في السعادة باعتباره معطى طبيعي لدى كل الناس. لكن تحقيق السعادة يتطلب دربة شاقة بمعنى أنّ بلوغ الخير الأسمى و بالتالي السعادة لا يحصل بشكل آني و مباشر. لكن إذا كانت الرغبة في السعادة شيئا مشتركا بين جميع الناس، فإن الاختلاف يكون من جهة موضوع الرغبة الذي يتغير لدى الشخص نفسه. لذلك يميز ارسطو بين ما يكون الخير في ذاته و بين الخيرات الوسائل.

= الخيرات الوسائل تؤدي إلى الخير الأسمى و السعادة بما هي خير أسمى هي غاية قصوى أيضا تُطلب لذاتها و ليس من أجل شيء سواها.

**لكن ما هي هذه الخيرات الوسائل و فيم يكمن الخير الأسمى الذي هو السعادة ؟**

ينطلق أرسطو مما هو أكثر شيوعا بين الناس مثل المتعة و الثروة و المجد... لكنها ليست غايات قصوى و بالتالي لا تعبر عن السعادة حقيقة، إنها مجرد وسائل تؤدي إلى غاية تعلو عليها جميعا.

ينتهي أرسطو إلى اختزال أهم الرؤى حول السعادة في ثلاثة مواقف :

* اعتبار السعادة متعة
* اعتبار السعادة مجدا
* اعتبار السعادة تأملا

يضع أرسطو الاعتبارين الأولين موضع نظر من جهة ما هما بحث عن الاستحقاق و الجدارة.

أما الاعتبار الثالث / **التأمل** : هو الذي يمكن أن نعدّه التعبير الأساسي عن الوجود السعيد. يقول أرسطو :**"إذا لم تكن السعادة حقا إلا الفعل المطابق للفضيلة، فمن الطبيعي أن يكون الفعل المطابق للفضيلة التامة، أعني فضيلة الجزء الأعلى من الإنسان"**

فالأخلاق معرفة متعلقة بالفعل، و ترتبط بالخير الأسمى الذي يمثل غاية كل فعل إنساني، والخير الأسمى هو السعادة، **وهكذا فإن السعادة عند أرسطو تتمثل في فعل عقلي يتحدد في التأمل كنشاط عقلي، الذي يتماهى و الفضيلة.**. وهو ما يعني أن السعادة هي نتيجة الحياة الفاضلة. و بما أن الفضيلة ترتبط بالتأمل العقلي الذي يمثل ما هو أعلى في الإنسان، **فإن السعادة تتجاوز اللذة الحسية البسيطة من جهة كون اللذة مؤقتة في حين أن السعادة لا زمنية ودائمة،** **والتأمل العقلي هو الذي يحقق ثباتها و دوامها.** لذا فإنّ السعادة لدى أرسطو هي **التأمل** بما هو النشاط الأرقى لأنّ العقل هو الجزء الأكمل فينا و لأن موضوعاته هي الأكمل. و التأمل يمكن أن يستمر طويلا دون تعب و بذلك نستطيع أن نحيا جزءا من الحياة الإلهية.

تتأسس السعادة على فضائل العقل و الروح بعيدا عن الجسد . إنها متعة أو لذة التأمل و هي غاية كل فعل أي هي الغاية القصوى و مثلا أعلى للفعل الأخلاقي و هو ما يعني :

* **تأكيد هذا الاقتران الوثيق بين الخير و السعادة**
* **إنّ اعتبار السعادة غاية الفعل الأخلاقي هو تأكيد لما تحيل عليه السعادة من ثبات و نهائية و كلّية فهي مثل أعلى.**

و هو ذات الأمر الذي كان أفلاطون قد أكده حين اعتبر أن السعادة تكمن في إدراك مثال الخير بما هو الحق ، الجمال و الخير المطلق. و هذا الأمر لا يتحقق عند أفلاطون إلا إذا انفصلت النفس عن الجسد فالفلسفة ليست سوى تدرب على الموت.

يربط أفلاطون السعادة الحقيقية بالخير الأسمى أي إدراك الحقيقة بواسطة التأمل العقلي و في ذلك لذة لا يشعر بها و لا يطالها إلا أهل الفلسفة أو من كانت طبيعتهم تؤهلهم لنيل الفضائل الروحية.

فأن تكون سعيدا ليس معناه :

* امتلاك الثروة و الجاه
* تبجيل من الآلهة
* مجرد حظ موات

بل إنّ السعادة لا تكون إلا إذا كانت النفس خيّرة. لذا يطابق أفلاطون بين السعادة و السلوك الخيّر أي بين الخيرات الملائمة للنفس فتكون السعادة بتحصيل المعرفة و التحرر من الهواء و رغبات الجسد.

**تكون السعادة عبر الأخلاق بما أن الأخلاق هي فن الاستعداد للسعادة التي تقطع مع المباشر و الجزئي و العيني و تتعالى عليه. هذا ما كان رسمه سقراط الذي أكّد أن السعادة لا تولّد الفضيلة بل عن الفضيلة تولد السعادة.** السعادة هي ما نتشوقه ما نطلبه و السعادة لا تتحقق إلا متى سعت القوة الناطقة نحوها.

**تخلص :**

هذا الربط بين الفضيلة و السعادة و التلازم بين فعل الخير و السعادة يجعل من السعادة مثلا أعلى لذلك لا يحصل عليه إلا الحكيم. و هو ما يجعل السعادة عصية على الأفراد.

**إثارة احراج :**

أليست هذه التصورات اغراقا في التجريد ؟ أليس البحث عن الخير المطلق و السعادة كخير اسمى، مجرد تصورات ميتافيزيقية و تعريفات عامة تجعل من السعادة غاية لا تدرك او هي غاية يصعب تحقيقها ؟ كما تجعل من الخير قيمة مطلقة ثابتة تتجاوز الوقائع و الحداث ؟ و إذا ما اعتبر ارسطو أن في فعل التأمل لذة و متعة، ألا يمكن أن نتناول اللذة من جهة ارتباطها بمتع بسيطة و حسّية أيضا ؟

1. **في أنّ الخير هو اللذة : أبيقور**

**فيم تتمثل السعادة ؟ هل تتمثل في الاعراض عن كل لذة و متعة ؟ أم تتحدد السعادة في طلب المتع و اللذة بما هي الخير الأعظم ؟ و إذا سلّمنا بأن الخير الأعظم يكمن في اللذة، فيم تتمثل هذه اللذة و ما هي شروط تحصيلها ؟**

* **في تحديد دلالة السعادة :**

السكينة Ataraxia أو طمأنينة النفس و غياب الاضطراب، هما الغاية التي تنشدها الأبيقورية. غاية الحياة السعيدة هي اللذة التي يصاحبها انعدام الألم في الجسم و غياب الاضطراب في النفس.

**اللــذة هي بداية الحيـاة السعيدة و غـايتها**

**الخير الأول/معيار الخير : اللذة شرط الخير شرط السعادة [طبيعة في الإنسان]**

**السعادة = اللذة و غياب الألم ≠ التعاسة = الألم و الحرمان من اللذة**

**لكن ماذا يعني هذا ؟ هل نفهم من ذلك ان السعادة تكمن في الإقبال على الملذّات و إشباع الرغبات دون حد ؟ هل هي الإفراط في الاستمتاع بمتع حسية ؟ هل هي استجابة لمطالب الجسد دون حدّ ؟**

* **التمييز بين المتع و اللذات :**

رغم كونه يعتبر اللذة هي الخير الأول، فإنّ أبيقور لا يقدم نظرية هيدونية**،(** الاحتفال بالرغبة و الدعوة إلى التمتع باللذات، مذهب اللذة (الهيدونية / Hedonism في اليونانية "هيدون" تعني اللذة. نظرية في الأخلاق تعرّف الخير بأنه ما يؤدي إلى لذة أو إلى خلاص من الألم، والشر بأنه ما يسبب الألم. ) **بل يقدم اقتصادا في اللذة** = لا نبحث عن اللذة إلا لندفع الألم . لذلك لا ترتبط السعادة عند أبيقور باللذة الحسية فقط و إنما تقتضي الحكمة التي توجهنا في إشباع اللذات. لذلك لا يتردد الحكيم الأبيقوري في التضحية بلذة عابرة مؤقتة و هي تضحية سينتج عنها لذة أعظم.

بهذا المعنى يكون العقل هو مبدا الحياة السعيدة من جهة أنه ملكة الحكم الصائب و ملكة التمييز و الاختيار. فالعقل هو الذي يدفعنا إلى الاعتدال في الاختيار بين الأشياء النافعة و الأشياء الضارة.

**لكن هل يدعونا أبيقور إلى الزهد و التقشف ؟**

إن ما يؤكد عليه أبيقور هو الاعتدال / الحذر / الوسط العادل و تلك هي الفضيلة. و يمر ذلك عبر التمييز بين الرغبات و المتع.[هذا التمييز ليس خاصا بـ أبيقور بل هو شأن الثقافة اليونانية عامة]

* **رغبات طبيعية و ضرورية**
* **رغبات طبيعية و غير ضرورية**
* **رغبات غير طبيعية و غير ضرورية.**

إنّ الفوز بالسعادة لا يقتضي الزهد و تجنب الملذات، بل يكفي المرء أن يختار الاعتدال في الأكل و الشرب و أن يتحكم في أهوائه و رغباته دون كبحها أو قمعها. نّ أبيقور يهتم بتحصيل السعادة بواسطة حسابها و هدفه هو تجنب الألم و تحقيق السكينة. لذا يؤسس أبيقور **حكمة عملية** **≠** التأمل النظري. إنها فعل تتلازم فيه الفضيلة مع الممارسة إنها سلوك متعقل يؤسس لـ إيتيقا حياتنا و يجعل منها فنا للوجود. لذا يحذّرنا أبيقور من الأقوال الكلية و التعريفات العامة و تأملات الخير الأسمى / الخير في ذاته، إنه يخرج عن نهج الفلسفات الكبرى ليؤسس لسعادة تخصنا و في متناولنا.

1. **في أن الفضيلة تحصل بإسعاد الآخرين :**

**صياغة المشكل :**

إذا كانت السعادة تتمثل في تحقيق المنفعة بما هي الخير و اللذة و انعدام الألم، فعن أي منفعة نتحدث ؟ هل هي منفعة الفرد أم منفعة المجموعة ؟

**الأطروحة :**

المنفعة هي أساس كل فعل

يماهي النفعيون بين الخير ،اللذة ، الرفاه ، السعادة و النافع أو المنفعة.

تصنيف المنافع حسب وليام جيمس أي الاختيار بينها يكون بحسب ما توفره / تحققه من لذة. لذا فإنّ مقياس الفعل النافع هي **الشدة /الدوام** /**اليقين** / **القوة** / **الخصوبة** / **الصفاء**. إنّ إشباع اللذات لا يقود إلى السعادة إلا في إطار المصلحة العامة. لذا يؤكد جون **" ستيوارت ميل "** على اهمية التضحية من أجل الآخرين **" فمن المؤكد ..... تسعة أعشار البشرية ".** فمقولات التضحية و الإيثار و الزهد و الاستشهاد.. ترسم للخلقية غاية تقيم وراء سعادة الذات. هذا ما أكده أيضا **جيرمي بنثام** حين أقر بأن المنفعة هي أساس الأخلاق، فالخير هو ما كان نافعا. لكن هذه المنفعة تأخذ بعين الاعتبار منفعة الآخرين، **" أن نفعل نحو الآخرين ما نحب أن يفعلوه نحونا "** و في هذا الإطار تبرز قيمة الدولة و دورها في ضمان النفع لأكبر عدد ممكن من الأفراد.

إن المذهب النفعي يحيلنا على الفكرة التالية :

سعي الأفراد إلى البحث عن اللذة و المنفعة و بالتالي السعادة و انعدام الألم. غير أن هذا الموقف في تحديده لمفهوم الخير على أساس ما يرغب فيه الناس عادة، إنما يقع في مغالطة أو هو يتجاهل أنه **" ليس من الضروري أن تتجه رغبات الناس الفعلية إلى الخير ".** كما يتجاهل هذا الموقف ان الدولة لا تنجح بالضرورة في تحقيق سعادة غالبية الشعب، بل تكون في خدمة فئة أو طبقة أو حزب داخل الدولة.

إن ما يجعل السعادة مثلا أعلى، بالنسبة للنفعية، هو كونها مقصودة وفق استراتيجيا جماعية و كونها ترتكز على الاعتقاد في التقدم التقني و الاقتصادي. ذلك أن تفاؤل فلاسفة الأنوار، جعلهم يربطون السعادة بتطور المعرفة و الذكاء الإنساني، تفاؤل يرتكز على إقرار **روسو** بخيرية الإنسان، حيث أكد في كتابه **«إيميل»** على دور التربية في تحقيق سعادة الطفل. إذ يدعو إلى ضرورة ترك الطفل يتطور وفق طبيعته الخيرة. وهو ما يؤكد أن السعادة هي أساسا مثل أعلى، فكرة، شيء علينا تحقيقه لا فقط بالنسبة للأفراد بل لكل الناس، و من هنا بالذات يحصل الانزلاق الذي يجعلنا نتحول من الإنسانية إلى النفعية كما تجلت عند **بنثام** و **ميل**، ثم إلى المادية الصرفة و الفردانية التي غدت فيها السعادة اليوم مرادفة للرفاه و تحصيل أكبر قدر ممكن من المنتجات التقنية التي تيسّر حياة الفرد. فأن نعتبر الخير كمجموع الخيرات التي يمكن الحصول عليها، و أن يبحث كل فرد عن أكثر لذة و أقل عناء، **هو أن نعتبر سعادة الفرد جزءا من الرفاهة العامة**. ذلك أن النفعية تتحدث عن السعادة في المستوى الاجتماعي، و بالتالي السعادة لكل الناس رغم كونها تختزل الخير في النافع. فالنافع هو ما يمكن من تحقيق الخير، وهو مفهوم سبق أن تحدث عنه **ابيكتات** و حتى **اسبينوزا**، فالحكيم الرواقي يبحث عن النافع. غير أن النافع عند ابيكتات كما عند اسبينوزا لا يرتبط بما هو مادي، في حين ننظر اليوم إلى النافع باعتباره نافعا ماديا. ذلك أنه بالنسبة للنفعية، لكي تكون السعادة شيئا يمكن توزيعه بطريقة عادلة بين الناس، يجب أن تكون مادية، فلكي تكون قابلة للقسمة يجب أن تكون قابلة للقياس، و بالتالي تتماهى السعادة مع الرفاه في المجتمعات الاستهلاكية.

1. **في أن الخير هو غاية ذاته : السعادة كواجب : [ في انفصال الخير عن السعادة]**

**طرح المشكل** :

**ما هو أساس الفعل الأخلاقي ؟ ماهي الشروط التي تجعل من فعل ما أخلاقيا ؟ هل يستمدّ الفعل الأخلاقي أخلاقيته من المبدأ الذي يصدر عنه أم من الهدف و الغاية التي ينشدها ؟ و كيف يمكن التمييز بين ما هو أخلاقي و ما هو لا / غير أخلاقي ؟**

إن موضوع الأخلاق الكانطية هو المثل الأعلى الأخلاقي لا الواقع الموضوعي ، فهي تدرس ما يجب أن يكون و ليس ما هو كائن . يقطع كانط مع الأخلاق السائدة بماهي قيم مصلحية ، نفعية ، نسبية تتأثر بميول الناس و رغباتهم المتناقضة و طلبهم لتحقيق السعادة كمطلب نسبي .إن الأخلاق الكانطية مصدرها العقل ، فالعقل هو المشرّع الوحيد للقانون الأخلاقي باعتبار أنه يزوّدنا بقاعدة نموذجية توجه السلوك وهي الإرادة الخيّرة وما يجعل من الإرادة خيّرة هي النية الطيبة .

لذا فإن الفعل الأخلاقي لا يكتسب أخلاقيته إلا بتوفر الإرادة الخيّرة في ذات الفاعل أي أن تكون غايته الخير في ذاته و لذاته و ليس له غايات مصلحية و نفعية. فالفعل الذي يهدف لمصلحة و يهدف لغاية من أجل تحقيق السعادة لا يعتبر خيرا و لا يعتبر فعلا أخلاقيا. فالإرادة الخيّرة بما هي المبدأ المحدّد لكل فعل أخلاقي تعدّ خيرا على الإطلاق و تظل خيّرة لأنها تريد الخير لكل كائن عاقل .

إن الواجب يتحدد وفقا للإرادة الخيّرة و دون اعتبار للرغبات و مستقل عن الميولات و متحرّر من كل شرط خارجي و معزول عن الغائية و لا يستند إلى العاطفة و الوجدان و إنما إلى النية الطيبة . الواجب هو إلزام أخلاقي مطلوب لذاته و حرّ، فالفعل الأخلاقي هو الذي يكون الدافع إليه احترام الواجب من جهة ما هو واجب. لذلك فهو لا يقاس بنتائجه و مستقل عن أيّ اهتمام بالسعادة أو المنفعة . فالسعادة رهينة شروط معينة لذلك لا يمكن أن تكون موضوع واجب لأنها مرتبطة بإشباع رغبة جسدية كانت أم عقلية .

ومن هذا المنطلق يميّز كانط بين صنفين من الأوامر :

**الأمر الشرطي :** هو الأمر الذي يكون فيه الفعل مشروطا بنتيجة و مرتبط بالواقع التجريبي و الذي تكون في إطاره الإرادة محدّدة بحسب مبدأ الرغبة و المنفعة و السعادة مثال : التاجر الذي يتجنب الغش حفاظا على زبائنه .

إن الأمر الشرطي لا يمكن أن يعدّ قانونا أخلاقيا لأنه خال من صفات الإطلاقية و نسبي و مرتبط ← بالمنفعة و السعادة .

**الأمر القطعي :** هو الأمر الذي يتمّ فيه الفعل تمثلا للقانون و احتراما للواجب و يكون مستقلا عن إرادة الأفراد ، متعاليا عن كل واقع تجريبي و الذي في إطاره تكون الإرادة متحرّرة من كل انفعال أو منفعة و يكون ملزما لجميع الذوات الإنسانية ( كلي \ كوني ) مثال : التاجر الذي يتجنب الغش تمثلا للقانون الأخلاقي و احتراما للواجب .

من خلال هذا التمييز يعتبر كانط أن الأفعال التي هي استجابة لأمر قطعي هي وحدها أخلاقية ، لأن الأخلاق غاية في ذاتها و ليست وسيلة كما هو الشأن في الأمر الشرطي . **إن القيم الأخلاقية الكانطية هي قيم مطلقة كلية و شاملة تمثل قاسما مشتركا بين جميع الناس** .

إن أيّ فعل لا يكون أخلاقيا إلا إذا كان حرّا ، فالفرد في امتثاله للقانون الأخلاقي لا يخضع إلا إلى إرادة كلية مشرّعة للقانون الأخلاقي و من ثمة فالفرد هو الذي يلزم نفسه بالطاعة أي طاعة الواجب دون ضغط خارجي ، فالأخلاق الكانطية ليست أخلاق إلزام و إنما هي أخلاق التزام .

ينفي كانط ربط الفعل الأخلاقي بمصلحة أو منفعة لتكون السعادة ليست غاية الأخلاق أو الواجب ، وهو ما يفسر ضرورة عدم تناول الأخلاق بما هي مذهب في السعادة بل بما هي الطريقة التي توصلنا لمعرفة سبل الجدارة بالسعادة .إن السعادة ليست النتيجة المترتبة عن الأخلاق بل هي رهان جدارة ، يقول كانط : **" لا تعلمنا الأخلاق كيف نكون سعداء بل كيف نكون جديرين بالسعادة " .** يراهن كانط على تطهير الأخلاق من المصلحة و المنفعة و التأسيس لأخلاق كونية صالحة لكل الكائنات العاقلة .

1. **في اختزال دلالة السعادة في الرفاه : بودريار : السعادة في المجتمع الاستهلاكي نقد السعادة في المجتمعات الصناعية المتقدمة**

**طرح المشكل :**

**هل يمكن للفرد أن يحقق سعادته داخل المجتمعات الرأسمالية ؟ و هل تؤمّن الحضارة المعاصرة حقّ الإنسان في السعادة ؟ أيّ قيمة للسعادة في المجتمع الاستهلاكي و التي اقترنت بالرفاه بما هو المثل الأعلى الاستهلاكي ؟ و إذا كانت السعادة ترتبط اليوم بالرفاه ، فهل يعني ذلك أنها قد انحازت بالفعل عن حقله الأخلاقي و عن طلب الخير ؟**

إنّ طرح مسألة السعادة يقتضي تنزيلها ضمن الظروف الاجتماعية و التاريخية التي أفرزتها. لذلك ليست مطلبا أخلاقيا محضا و لا هي مثل أعلى يميل إليه الإنسان بطبيعته. فمثل هذا الحكم تكذّبه الدراسات الانثروبولوجية المعاصرة التي شكّكت في القول بوجود طبيعة بشرية ثابتة، و تؤكد في مقابل ذلك أنّ مختلف سلوكات الإنسان و أفعاله تكتسب من واقعه الاجتماعي و التاريخي.

من هذا المنظور يقوم بودريار بتنزيل مسألة السعادة في سياق الظروف الاجتماعية و التاريخية التي أفرزها نمط الإنتاج الرأسمالي و الكشف عن المضمون الإيديولوجي لفكرة السعادة داخل المجتمع الاستهلاكي.

يؤكد بودريار أنّ فكرة السعادة هي**" المرجع المطلق للمجتمع الاستهلاكي و هي بالذات نظير النجاة ".** مثل هذا التصوّر السائد لمفهوم السعادة، و الذّي تسوّقه وسائل الإعلام الرأسمالية، يترابط مع بقية القيم التي يقوم عليها المجتمع الرأسمالي مثل الفردانية النجاعة المردودية، كما يتقاطع مع الوعود الزائفة التي يعلن عنها المجتمع الحديث كالوعد بالمساواة الحرية و العدالة ...

إنّ البحث عن الوظيفة الإيديولوجية لفكرة السعادة، يعني حسب بودريار الكشف عن زيفها و ذلك بالكشف عن بعدها التضليلي و المزيف، خاصة و أنها فكرة تزامنت مع نشأة الرأسمالية التي تقدّم نفسها على **" أنها خلاص الناس من الفقر و الحاجة و الاستغلال .."** و لعلّ هذا المعنى هو ما يشير إليـه بودريار في قـولـه **" إنّ أسطـورة السعادة هـي التي تحتضن في المجتمعات أسطورة المسـاواة و تجسّدها."** إن ربط المساواة بالسعادة في المجتمع الاستهلاكي، يفيد أنّ السعادة ليست إلا مجرّد شعار إيديولوجي و سياسي، الغاية منه إخفاء واقع اللا مساواة و الفوارق الطبقية. فثمّة فرق كبير بين ما وعدت به الثورة الصناعية و نمط الإنتاج الرأسمالي، و بين ما انتهت إليه هذه الثورة من تناقضات اقتصادية، اجتماعية، سياسية و أخلاقية. لذلك يمكننا القول إنّ مطلب السعادة **" ليس إلا مجرّد فكرة جوفاء تسمح لتقنيي المجتمع الرأسمالي و ساسته بتضليـل الجماهيـر و توجيه رغباتهم و هكذا فإنّ السعـادة الوهمية " تتأسس على مبادئ الفردانية المدعّمة بلائحة حقوق الإنسـان و المواطن التي تعترف صراحة لكل فرد بالحق في السعادة "**

هل يعني مثل هذا الإقرار أنّ السعادة مجرّد وهم نسلّي به أنفسنا ؟ و هل يعني أيضا أنّ السعادة وهم ضروري لِتَواصل الرأسمالية كنمط إنتاج يكرّس اللا مساواة ؟

1. **معوقات السعادة :**

**السند : نص حدود السعادة (فرويد )**

**طرح المشكل :**

**هل يمكن للإنسان أن يحقق السعادة التامة أم أن قدره هو الشقاء و السعي لتحاشي الألم ؟ و إذا سلمنا بأن الإنسان لا يمكن أن يكون سعيدا ، فهل يحق له أن يأمل في حياة بلا ألم ؟**

السعادة هي مطلب مشترك بين جميع الناس ، إنها الغاية النهائية التي يسعى الإنسان إلى بلوغها ، و الطريق الوحيدة المؤدية إلى السعادة تمرّ عبر اللذة حتما . فمن المعروف أن الرأي السائد يربط السعادة باللذة ، إذ نرى أن الإنسان يسعى بصفة تلقائية إلى نيل اللذة و تجنب الألم . يعتبر فرويد أن كل فعل يقوم به الإنسان هو إشباع للحاجات الحسية الغريزية و تحصيل أكبر لذة ، غير أنه " لم يدخل في خطة الخلق البتة أن يكون الإنسان سعيدا ". في هذا الإطار يؤكد فرويد أنه ثمة تلازما حقيقيا بين الحضارة من جهة و كبت الرغبات الغريزية من جهة أخرى، فكلما تقدمت الحضارة زاد قمع الإنسان لدوافعه الغريزية . الحضارة قمعية بالضرورة. فثمة صراع جوهري بين رغبة الفرد الذي يأمل في الإشباع الجنسي من جهة و متطلبات المجتمع التي تتعارض مع هذه الرغبات من جهة ثانية ، إذ أن الرغبة في الإشباع الجنسي و العدوانية أمور فطرية في الطبيعة البشرية، وهو ما يفسر بحسب فرويد استحالة تحقيق السعادة لأن المجتمع لا يستطيع تحقيق المعادلة الصعبة : إسعاد الطبيعة البشرية ( الغريزة ) و تحقيق الحضارة في نفس الوقت .

**الأخلاق تقرّ أن الفرد هو بالضرورة عدوّ الحضارة ، و بالتالي لكي تنبني الحضارة وجب قمع الغرائز و إخضاعها لمنطق الحضارة القائم على القسر و القمع**

* تُختزل معوّقات السعادة في مصادر الألم و تتجلى في :

1 ــ قوّة الطبيعة الساحقة

2 ــ الشيخوخة . يتعلقان بحتميات علميّة يمكن الحد من آلامهما.

3 ــ يتمثل المصدر الثالث في عدم كفاية التدابير لتنظيم العلاقات بين البشر في مختلف مستويات مجالاتها الأسرة / المجتمع / الدولة.

إذا كان فرويد قد بيّن عدم إمكان التخلي عن الحضارة رغم احتوائها لقلق أو هي مصدر القلق ذاته فذلك راجع لكونها مصدر التشريعات و المحرمات المنظمة للاجتماع الإنساني فالحضارة مصدر بؤس الإنسان وتعاسته بما هي تُحيل على مبدأ المثال ( الأنا الأعلى ) الذي يمارس سلطة على الأنا (مبدأ الواقع ) حتـّى لا يمتثل لرغبات الهو ( مبدأ اللذة ) ، علما أن هذا المبدأ أصيل في الإنسان .

* مآسي الحياة تستوجب مسكنات قصد تحمّلها وهي ثلاثة :

1 ــ الاهيات قويّة نواجه بها البؤس .

2 ــ تلبيات بديلة تحت وطأة البؤس . ثمن تطوّر الحضارة هو نقصان السعادة

و البؤس

3 ــ مخدّرات تفقد الإنسان الإحساس بالبؤس

**خاتمة :**

يبدو إذن أنّ التوتر بين الخير بما هو قيمة مطلقة و السعادة بما هي مطلب ذاتي يعود في الواقع إلى عجز الكائن البشري، بحكم تناهيه، عن أن يحدد و بكامل الدقة الصورة المثلى لما يراه خيرا و السبيل القويمة لتحقيق السعادة التي يصبو إليها.

لذلك لم يلبث الخط الفاصل في الوعي السائد بين الأخلاق و اللا أخلاق أن تلاشى و بدت الفضيلة وجها آخر للرذيلة و الخير صورة مقلوبة للشر و الأخيار أشرار حالمين.

إن الأنساق الأخلاقية السابقة لكانط ترى في السعادة غاية كل فعل إنساني، فهي الخير الأسمى . في حين يعتبر كانط أن الفعل الأخلاقي هو الفعل الذي يقوم بالواجب من أجل الواجب .**فهل يعني ذلك أن القيام بالفعل من أجل تحقيق السعادة هو فعل لا أخلاقي؟**

يلاحظ كانط أن السعادة بما هي حالة كمال هي مفهوم غامض لأنه يرتبط بالتجربة فالسعادة عنده هي مثل أعلى لا للعقل بل للمخيلة يقوم على مبادئ خبرية فحسب. فالسعادة إذن، ليست مفهوما عقليا وترتبط برغد العيش، لذلك لا يمكن تحديدها، فرغد العيش يختلف من شخص إلى آخر بحسب خبرته وميولا ته لذلك يرى كانط أن السعادة ليست من مجال الأخلاق, فمجال الأخلاق هو مجال ما هو عقلي، كوني وضروري أي واجب. ومجال السعادة حسب كانط هو الدين لأن السعادة هي موضوع أمل و من حق الإنسان ككائن رغبة أن يأمل في أن يكون سعيدا دون أن يناقض ذلك الواجب. فما هو أولي بالنسبة لكانط هو الأخلاق الكونية ولا يهدف أي فعل في المجال العملي إلا إلى تحقيق الفضيلة باعتبارها طاعة الأمر القطعي. لكن ذلك لا يمنع من أن تكون مقولات العقل العملي مقبولة في حقل الأخلاق وهو ما يضفي مشروعية على البحث عن السعادة. يقول كانط: **«الأخلاق ليست إذن نظرية تعلمنا كيف يجب أن نكون سعداء ولكن تعلمنا كيف يجب أن نكون جديرين بالسعادة, ذلك أننا لا نأمل في تحقيق السعادة إلا بتدخل الدين».** وهكذا يكون البحث عن السعادة عند كانط أمرا مشروعا وواجبا في بما أن التعاسة ليست ظرفا مناسبا للقيام بالواجب. السعادة كموضوع أمل بالنسبة لكانط لا تتحقق في الأرض و تبقى موضوع أمل مشروع ليس إلا. و هكذا يربط كانط الحرية بالعقل، فالإرادة الخيرة هي التي تخضع لإرادة القانون العقلاني والكوني أما الإرادة التي تخضع للرغبات الحسية فهي إرادة مرضية بالمعنى الكانطي أي لا تخرج عن تأثير الحواس, فالحرية والعقل لا ينفصلان عند كانط الذي يقول : **" الحرية هي خاصية إرادة كل كائن عاقل "**، وبالتالي لا تكون السعادة بالنسبة لكانط شأنا سياسيا.

**السؤال 1 : هل يحق لي أن أكون سعيدا قبل الالتزام بأداء واجبي الأخلاقي ؟**

|  |
| --- |
| **مرحلة بناء المشكل :**  **التمهيد :**   * يمكن الانطلاق من التصور الشائع عن السعادة، فكل الناس يبحثون عن السعادة مهما كانت الوسائل التي يستعملونها خاصة مع اقتران السعادة لدى الحس المشترك بالمنفعة الخاصة و اقتران الخير بكل ما يحقق سعادة للفرد مهما كانت الوسائل و هو ما يتنافر مع فكرة الواجب الأخلاقي * أو يمكن تنزيل السؤال ضمن التفكير في مقتضيات الفعل الإنساني و احراجاته و التي تحيل على التوتر بين الالتزام بالواجب الأخلاقي و طلب السعادة   **طرح الإشكالية :**   * **ما طبيعة العلاقة بين الالتزام بالواجب الأخلاقي و طلب السعادة ؟ هل يمكن التفكير في السعادة خارج التصورات الأخلاقية عموما و فكرة الواجب الأخلاقي خصوصا ؟ هل من معنى لسعادة تتعالى على الواجب الأخلاقي أو تتناقض معه ؟** * **ماذا نعني بالواجب الأخلاقي و ما علاقته بالسعادة ؟ هل هو ما به تتحقق السعادة أم ان الواجب يطلب لذاته و غاية ذاته؟** * **هل أن الحق في السعادة يمكن أن يتجاوز كل اكراهات الواجب الأخلاقي ؟ أم أنّ الحق في السعادة لا يستقيم / يتقوّم إلا بتماهيه مع الواجب الأخلاقي ؟** * **إذا كانت السعادة متعة و لذة هل يحق للإنسان أن يطلب المتع دون الخضوع لأي قانون أخلاقي ؟** |

|  |
| --- |
| **مرحلة بلورة الجواب :** بلورة التفكير في المشكل باعتماد التمشّي التالي :   1. **في إمكان أن أكون سعيدا قبل أداء الواجب الأخلاقي :**   **ضرورة الانطلاق من المفاهيم :**  \*ضرورة الاشتغال على الأفكار التالية :  **1. الانطلاق من معنى الحق في السعادة من جهة أنها مطلب إنساني ضروري و هو معطى مشترك بين جميع البشر**  . تحديد دلالة السعادة بما هي تجربة ذاتية مشروطة برغبات الأفراد و ميولاتهم المتغيرة باستمرار.  . بيان بعض تجليات السعادة من ذلك اختزالها في اللذة، المتعة و إشباع الرغبات و شهوات الجسد أو تحقيق كل أشكال المنفعة و خاصة منها تلك التي تيسّر حياة الأفراد. بمعنى إمكان اختزال السعادة في **الرفاه** و هو ما يحوّل السعادة إلى شيء مادي قابل للقيس و الحساب.  . الانتهاء إلى أن تحقيق الملذّات و إشباع رغبات الجسد و اللهث وراء الاستهلاك و تلبية الحاجات المتكاثرة قد يكون على حساب الواجب = يتناقض مع ما يمليه الواجب الأخلاقي .  2. **تحديد دلالة الواجب الأخلاقي بما هو التزام بقانون كلي و ضروري و لا مشروط.**  . بيان أن الواجب الأخلاقي بهذا المعنى يعتبر مصدرا للألم و عائقا أمام تحقيق سعادة الفرد من جهة أنه في تعارض مع رغبات الذات و ميولاتها.  . الانتهاء إلى أن الحرص على تحقيق السعادة قبل الالتزام بأداء الواجب الأخلاقي يجعل من الإنسان كائنا لا أخلاقيا. فنكون إزاء الإمّية التالية : **إما سعادة بلا أخلاق و إمّا أخلاق بلا سعادة**  = بيان أن الالتزام بالواجب الأخلاقي لا يجعل منا سعداء بل جديرين بالسعادة **( موقف كانط )**  . يرى كانط أن طريق السعادة هو الالتزام بالقانون الأخلاقي القائم على الواجب العقلي. فإذا كانت الغريزة أو الطبيعة تدفع كل واحد منّا إلى تصوّر المتعة في الإرادة الخاصة و الأنانية، فإنّ هذه المتعة لا تكون إلا على حساب الآخرين و تتعارض مع جوهر الحرية كالتزام بالقواعد الأخلاقية.  . و إذا كان الواجب الأخلاقي القطعي يقتضي أن نلتزم به دون أن تكون لنا مصلحة من وراء ذلك، فإنّ الالتزام بهذا الواجب يجعلنا ـ في النهاية ـ جديرين بالسعادة التي تكمن في رضا الضمير والتوافق مع الروح الأخلاقية، فواجب قول الحقيقة مثلا يولّد في النفس سعادة روحية حتى و إن كانت هذه الحقيقة تُخلّف ألما أو ضررا للإنسان على المستوى العملي.   1. **في أن الإنسان لا يكون سعيدا إلا عند أدائه الواجب الأخلاقي :**   . تعريف السعادة بما هي انعدام للألم و غياب الاضطراب على النفس  . تحقيق الطمأنينة و طلب السكينة من خلال حساب اللذات و عقلنتها و هو ما يحيل على هذا التوافق بين الالتزام بأداء الواجب الأخلاقي و طلب السعادة = تحقيق الاعتدال / الوسط العادل بما هو فضيلة تجعل الإنسان في توافق مع الخير و بالتالي الالتزام بما يقتضيه الواجب الأخلاقي و هو ما يجعله سعيدا.  **تخلّص :**  لكن إذا تعلق الأمر في السؤال بكيفية / بالسبل التي نحقق بها السعادة فإنّ السؤال المُلح اليوم هو هل هناك سعادة فعلا ؟ أم إنّ السعادة مطلب مستحيل ؟.   1. **في التظنن على قيمة السعادة :**   . ينفي فرويد وجود السعادة و يؤكد التعارض المطلق بين السعادة و الأخلاق مؤكدا أن الحضارة قامت على أساس قمع سعادة الإنسان  . يشكك نيتشه في سعادة تسكن عالم الما وراء، سعادة لا تُدرك إلا بقتل الجسد و هو ما تشرعه الأخلاق في نسختها المسيحية أو الأفلاطونية أو أخلاق الواجب لذا يُطالب نيتشه بأن نضع " أريد " بدل " يجب " التي رسمها كانط.  **مرحلة استخلاص موقف :**  لإنّ السعادة مطلب إنساني، لكنه مطلب عسير جدا نظرا للطابع النسبي للسعادة في ارتباطها بتعارض قوى الإنسان الجسدية و الحيوية من جهة و الروحية و العقلية من جهة ثانية. و مادام الإنسان يعيش توترا بين كونه كائنا مَلاكا و كائنا شيطانا فغنّ السعادة المطلقة تظل بعيدة المنال. |

الدرس : الأخلاق

يقول جون بول سارتر : " لا يوجد غيري فأنا وحدي الذي أقرر الخير واخترع الشر " حلل وناقش .

\* الطريقة الاستقصائية

\*المقدمة :

تمهيد :

يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة منها يعرف بالخير والمذمومة منها يعرف بالشر ، وهما المحوران اللذان يدور حولهما علم الأخلاق ،

طرح الإشكالية :

وإذا كان سارتر قد أرجع الخير والشر إلى الفرد فهل مصدر القيمة الأخلاقية ذاتي دائما ؟ بمعنى هل الخير والشر من صنع الإنسان أم أن هناك أطرافا أخرى يمكنها صناعة القيم الأخلاقية ؟

التحليل :

القيمة الأخلاقية الذاتية : القيم الأخلاقية مصدرها الفرد .

ذهب سارتر أن مصدر القيمة الأخلاقية هو الفرد ، فهو الذي يقرر الخير وهو الذي يخترع الشر ، فتصور سارتر الإنسان

على أنه كائن لذاته ، وتصور سارتر للنشاط الإنساني على أنه كائن لذاته ، وتصور سارتر للنشاط الإنساني على أنه حر ،

وأن ماهية الإنسان ما هو ما يوجد بنفسه ) الوجودية ( يشمل على فلسفة سارتر الأخلاقية التي تنطلق من الذات فيترتب

عليها أن الإنسان هو الذي يضع القيم فيضع الخير والشر . وبذلك فهو يعدم وجود الغير في وضع القيم وعلى هذا كانت

المسؤولية مطلقة عند سارتر .

غير أن هذا الرأي نجده عند أنصار النزعة التجريبية والنزعة العقلية على حد سواء ، فالتجريبيون يرجعون مصدر القيم

الأخلاقية إلى التجربة والممارسة الفردية ، التي تتطور إلى عادة اجتماعية ، كما أن العقليون يرون أن مصدر القيم الأخلاقية

هو العقل الإنساني إذا به نحكم على الأشياء وبه نميز بين الخير والشر وبالتالي فالفرد مصدر القيم الأخلاقية هو العقل الإنساني

إذ به نحكم على الأشياء وبه نميز بين الخير والشر وبالتالي فالفرد مصدر القيم الأخلاقية .

\_ لكن الفرد ليس المصدر الوحيد للقيم الأخلاقية ، فإقصاء الغير في صناعة الأخلاق أمر لا يثبته الواقع ، كما أن التجربة

الفردية مختلفة ومتناقضة والعقل قاصر لا يهدي صاحبه في جميع الأحوال .

القيمة الأخلاقية موضوعية : القيم الأخلاقية مصدرها المجتمع والدين .

إن الأخلاق في نظر آخرين من الفلاسفة من خلاف سارتر ( 1) تنبع من المجتمع ومن الدين حيث يرى أثار النزعة

الاجتماعية والقيم الأخلاقية نابعة عن تأثير الجماعة في الفرد حيث يقول " دوركايم " : " إذا استنكر أحدنا الفاحشة فلأن المجتمع

يستنكرها " . كما يرى أنصار الاتجاه الديني أن القيم الأخلاقية صادر عن الوحي

) فالتعاليم الدينية مصدر القيم الأخلاقية ( فهي جاءت لكي تساعد العقل علي إدراك الخير والشر .

هذا الموقف الديني نجده بوضوح عند مفكري الإسلام خاصة موقف المفكرين الأشاعرة الذي يعتبر الدين مصدر الخير والشر

فالواجبات في نظرهم سمعية كلها " افعل ما تؤمر آية . باعتبار أن القيم مختلفة باختلاف الدين .

\_ لكن الفرد قد يحدث ثورة فكرية ، وأخلاقية ويخرج عن العرف ويغير قواعد المجتمع ، كما أن المثل الأعلى الوارد

عن طريق الوحي قد ينعدم عند بعض الشعوب وتبقي لديهم أخلاقهم الخاصة .

القيمة الأخلاقية ذاتية وموضوعية : القيم من صنع أطراف مختلفة

من القيم الأخلاقية ما هو صادر عن الفرد وتبقى هذه الأخلاق محل اختلاف بين الناس ، ومن القيم ما هو صادر عن

المجتمع كالعادات والتقاليد وهي متغير من جماعة لأخرى ، ومن القيم ما هو صادر عن الوحي كأخلاق المسلمين وما يتعلق

بالحلال والحرام وهي تتمتع بالثبات .

الخاتمة : إن موقف سارتر من الأخلاق لا يمكن التسليم به ، إذ ليس بإمكان الفرد أن يقرر وحده الخير والشر، رغم أنه قادر

على ابتكار القيم الأخلاقية وقادر على الالتزام بها أو تركها . فالقيم الأخلاقية تصنعها أطراف مختلفة الفرد ، المجتمع ،